رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 4- سورة الحجرات | الأية 11

عبدالرحمن العجلان

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عساء يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب - 00:00:01

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون في هذه الاية الكريمة من سورة الحجرات يقول الله جل وعلا يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم - 00:00:34

عشا ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن الاية وهذه الاية الكريمة جاءت بعد قوله جل وعلا وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما - 00:01:04

فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فائت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم - 00:01:35

واتقوا الله لعلكم ترحمون في الايتين الاوليين يقول الله جل وعلا وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اقتتلوا هما طائفتان وجاء الظمير بالجمع باعتبار ان كل طائفة جمع من الناس وجاء قوله جل وعلا فاصلحوا بينهما - 00:02:04

التسمية باعتبار وقيل في سبب نزولها يقول انس بن مالك رضي الله عنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله ابن ابي فانطلق اليه وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون - 00:02:49

وهي ارض سبخة فلما انطلق اليه قال اليك عني. يقول عبد الله بن ابي لانه اما ان قبل ان يظهر اسلامه واما بعد ما اظهره لكنه هو جميع المنافقين فوالله لقد اذاني ريح حمارك - 00:03:21

يقول للنبي صلى الله عليه وسلم وقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك لان الرجل اما كافر او منافق وغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل منهما اصحابه - 00:03:53

وكان بينهم ظرب بالجريد والايدي والنعال فنزلت وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اخرجه البخاري ومسلم فان بغت احداهما يعني يتجاوزت الحد الطائفة الكبرى او المتكبرة او المتعاظمة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله - 00:04:23

اصلحوا بينهما اولا ان اصطلح هذا الحمدلله وان رفضت احداهما فقاتلوها برفضها استحقت المقاتلة ودل على ان الفئة الباغية ما خرجت من الايمان حتى وان قاتلت وقتل منها من قتل - 00:05:03

ايحل قتال البهاة لكنهم ليسوا كفار حتى تفيء الى امر الله ولهذا هناك فرق بين قتال البغاة وقتال الكفار الكفار وتسبى نسائهم والاسير يسترق بسبب الكفر والبغاة لا تسبى نساؤهم - 00:05:36

ولا ذراريهم ولا تستحل اموالهم بل ترد اليهم اموالهم ولما سئل علي رضي الله عنه في قتاله في الجمل وصفين اخبر عن قال انهم اخواننا بغوا علينا اخواننا وهو من فقهه رضي الله عنه - 00:06:18

لم يستحل اموالهم فخرج عليه الخوارج بسبب هذا وقالوا لم لم تستحل اموالهم ان كانوا كفار فاموالهم حل لنا وان كانوا فلم؟ نقاتلهم فطلب رضي الله عنه من عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ان - 00:06:50

يلتقي بهم فالتقى بالخوارج ومن فقه عبدالله بن عباس رضي الله عنه وحسن تعبيره واقناعه رجع منهم اربعة الاف من الخوارج فان

بغت احداهما فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء يعني ترجع - 00:07:28
والفيع هو الراجع والرجوع واذا سمي الظل لانه يرجع بعدما تقلص وسمي المال الذي يرجع للمسلمين من الكفار فايق لانه رجع الى اهله. لان الاصل في المال ان يكون عونا على طاعة الله - 00:07:58
بايدي من يتقي الله فصيرورته للمسلمين هو عبارة عن رجوع الى ما كان ينبغي عليه فان فاءت يعني بعد المقاتلة فلا يقال انها بالمقاتلة تستأصل ان تابوا ورجعوا فيصلح بينهم وبين خصومهم - 00:08:27
العادل وامر جل وعلا بالعدل في جميع الاحوال يعدل الانسان بين صديقه وعدوه وبين قريبه والبعيد منه وبين خصمه وصاحبه واقسطوا اعدلوا ان الله يحب المقسطين اقسطوا القسط والقشط الرباعي منه - 00:09:00
هو العدل والثلاثي هو الجور يقول الله جل وعلا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا. قاسطون وقال هنا واقسطوا ان الله يحب المقسطين. القاسط اسم فاعل من قشطة والمقسط اسم فاعل من اقسط - 00:09:41
واقسط بمعنى عدل وقسط بمعنى ظلم وجار ثم قال جل وعلا انما المؤمنون اخوة تجمعهم اخوة الايمان واخوة الاسلام. حتى وان كانوا متباعدين في النسب والمتقاربون في النسب اذا لم يكن - 00:10:14
بينهم اخوة الاسلام فهم اباعد. واعداء لبعضهم من بعض. كما قال الله جل وعلا لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابنائهم او اخوانهم او - 00:10:44
عشيرتهم وابراهيم عليه السلام لما تبين له ان اباه عدو لله تبرأ منه ونوح عليه السلام تبرأ من ولده وامرأة فرعون سألت النجاة من فرعون وعمله لانه اللعين كافر وهي مؤمنة - 00:11:04
انما المؤمنون اخوة واصلحوا بين اخويكم وهم كالاخوة من النسب واخص قال الشاعر ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقوس بقيس او تميم يعني انا ابن الاسلام مشاهد - 00:11:35
للاسلام ووالي للاسلام. واعادي للاسلام المسلم اخي ايا كان من اي جهة كان والكافر عدوي وان كان ابن امي وابي انما المؤمنون اخوة وانما اداة حصر فاصلحوا بين اخويكم يعني اذا تنازعا فاصلحوا بينهم - 00:12:03
ولا تحتقروا الاثنين وتقولوا نسعى في الصلح بين الامم والجماعات والاقوام اما الاثنان فلا يستحقان التفرغ لهما قال فاصلحوا بين اخويكم. ولو انهم اثنان تنازعا فاصلحوا بينهم. والله جل وعلا - 00:12:38
ووعد من سعى في الصلح الخير العظيم جل وعلا في قوله عز من قائل لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس - 00:13:03
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما او اصلاح بين الناس يصلح الاب وابنه بين الاخ واخيه بين الزوجة وزوجها بين الصاحب وصاحبه بين الجار وجاره وهكذا - 00:13:26
بين كل متنافرين يسعى المرء بالصلح بينهما يؤجر واتقوا الله فيما تأتون وما تذرون فلا تجوروا في صلحكم على طريقة اهل الجاهلية المصلح يكون مع القوي انا الضعيف ويعطي القوي اكثر من حقه لقوته - 00:13:56
ولا يبالي بالظعيف لظعفه واتقوا الله لعلكم ترحمون قال اهل اللغة لعل ترجي والله جل وعلا لا يصدر منه الترجي فلما قال جل وعلا لعل قالوا باعتبار المخاطبين يعني ان المخاطب ان الرجل - 00:14:27
يتقي الله رجاء الرحمة والا فالله جل وعلا يعطي الرحمة ولا يحتاج ان يأتي بحروف ترج او نحو ذلك يعني افعلوا هذا ترجون رحمة الله جل وعلا وهذه الاية الكريمة هي اصل - 00:14:56
ومحل الاعتماد عليها في قتال البغاة يعني من خرجوا على الجماعة من خرجوا على الامام يقاتلون حتى وان قتل منهم من قتل ومن قتل من جهة الامام فهو شهيد. ومن قتل منهم فهو باغي من البغاة - 00:15:26
لان الرجل اذا قتل قتله البغاة فهو شهيد ثم قال جل وعلا تأديبا وتعليما لعباده المؤمنين يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم - 00:15:54

ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن يا ايها الذين امنوا يخاطب الله عباده المؤمنين بهذه الصفة الطيبة المحببة الى النفس. يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم - 00:16:24

احذروا السخرية قيل في سبب نزولها ان وفد بني تميم جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فرأوا رصاصة بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الفقراء منهم في حالة - 00:16:49

رديئة فساخروا منهم فانزل الله جل وعلا يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم وعسى تدل على وقوع ما بعدها قال بعض المفسرين وهو الغالب - 00:17:19

او المضطرب لان الغالب ان المسحور منه خير خير من الساخر ولما لان الساخر ما سخر الا لما في قلبه من الحقد بما في قلبه من الكبر والمتكبر ممقوت عند الله جل وعلا - 00:17:52

وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال احد الصحابة يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا - 00:18:21

قال عليه الصلاة والسلام موضحا ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس الكبر رد الحق وعدم قبول الحق واحتقار الناس والمحتقر للغير دل على احتقاره على ما في نفسه من الكبر - 00:18:43

والمتكبر ممقوت عند الله بغيظ وعلى هذا يكون المسخور منه او المستهزئ به خير عند الله من الساخر والمستهزئ عسى ان يكونوا خيرا منهم لانه ربما سخر الغني للفقير والفقير - 00:19:13

احب الى الله جل وعلا واحسن عملا وربما سخر الشريف من الوضيع والوضيع ربما يكون اقرب الى الله واحب الى الله رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره - 00:19:39

يعني لا يسمح له بالدخول لانه لا قيمة له عند الناس لو اقسم على الله لابر الله قسمه ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن قالوا كلمة القوم - 00:20:06

تشمل ويراد بها الرجال غالبا دون النساء فاذا نص الله جل وعلا على ذكر النساء ونهيهن من السخرية قال بعض العلماء نص على النساء هن هنا لانهن في الغالب اكثر سخرية من الرجال - 00:20:32

النسا كثيرا ما تسخر او يسخر بعضهن ببعض نتيجة الفراغ ونحوه والرجل قد يكون منشغل بما هو فيه او الرجل اقوى اما واعظم فقد يتحاشى ويترفع عن السخرية المذمومة والمرأة الدنيئة قد لا تبالي بهذا والا فالمرأة المؤمنة تتحاشى هذا الذي نهى الله جل وعلا عنه - 00:20:59

قيل في سبب نزول ولا نساء من نساء ان بعض امهات المؤمنين رضي الله عنهن ساخرنا من ام سلمة رضي الله عنها لقصرها لا لعيب فيها سوى القصر وقيل ان بعض امهات المؤمنين - 00:21:42

قلنا لصفية بنت حيي بن اخطب رضي الله عنها وارضاها ام المؤمنين انت يهودية بنت يهوديين فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم تبكي وقالت مساء الخير النبي. يقولن يهودية بنت يهوديين - 00:22:09

فقال عليه الصلاة والسلام تطييبا لخاطرها بل انت بنت نبي وعمك نبي وتحت نبي فابوها هارون عليه السلام وعمها موسى عليه السلام وزوجها محمد صلى الله عليه وسلم وانزل الله جل وعلا ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن - 00:22:42

لا يجوز ان تسخر امرأة بامرأة سواء كانت هذه السخرية مما خلقت عليه المرأة كالطول والقصر والجمال وضده ونحو ذلك او كان من حركتها او فعلها او قولها فلا تجوز السخرية - 00:23:21

ولا تلمزوا انفسكم اي لا تطعنوا فيهم لا تلبسوا انفسكم. المرء يلمز نفسه نعم لان المؤمنين اخوة والمؤمن للمؤمن كالبنيان فهو اذا لمز اخاه المسلم فكأنه لمز نفسه لان المؤمنين شيء واحد - 00:23:51

وقيل ولا تلمزوا انفسكم من باب قول قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله من لعن والديه قالوا يا رسول الله وهل يلعن الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه - 00:24:30

ولا تلمزوا انفسكم يعني لا تلمز اخاك فيلمزك فتكون كانك انت المتسبب نفسك ولا تلمزوا انفسكم يعني لا تطعنوا في اخوانكم المسلمين لماذا يلمسه اما بمعصية تاب منها او بوصف قبيح سلم من - 00:24:59

بان يكون اصله كافر او يهودي او نصراني او مشرك. ومن الله عليه بالاسلام في معنى هذا ان يقال لمن كان اصله يهودي ثم اسلم يقال له يا يهودي او يا نصراني - 00:25:32

او يا مشرك او كان حصل منه زنا فتاب فينادى بها قول يا جاني ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب لا ينادي بعضكم بعضا باللقب الذي يكرهه والالقاب ثلاثة انواع - 00:25:53

لقب مكروه ولقب لا كراهة فيه ولا مدح والعقب ومدح اما لقب المدح فلا بأس بالنداء به وذكره الفاروق مثلا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعتيق لقب لابي بكر الصديق رضي الله عنه - 00:26:27

وسيف الله لخالد ابن الوليد رضي الله عنه وكزين العابدين ونحو ذلك ولقب لا مدح فيه ولا ذم ولا يكرهه صاحبه كما يقال مثلا الاعمش او يقال الاعرج او قال الاحدب - 00:26:58

وكان لا يكره ذلك. فلا بأس بهذا اما اللقب المذموم الذي يكرهه صاحبه فلا يجوز سواء كان واقعي حقيقي لكنه سلم منه او يعير به وهو بريء منه يقول احد الصحابة رضي الله عنه - 00:27:30

قدم النبي صلى الله عليه وسلم ونحن بنو سلمة الواحد منا له اثنان وثلاثة اسماء وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينادي الرجل في احد هذه الاسماء فقيل له يا رسول الله انه يكره هذا الاسم - 00:28:05

فانزل الله جل وعلا ولا تنابزوا التعيير من القاب لا يجوز والواجب على المسلم ان ينادي اخاه المسلم في احب الاسماء اليه ولا يعيره وقيل في سبب نزولها ان احد الصحابة رضي الله عنهم - 00:28:29

طلب من اخيه ان يفسح له في المجلس وكأنه لم يعطه ما يكفيه فجلس ثم سأله من انت فقال انا فلان وقال ابن فلانة امرأة من امهاتي يعير بها في الجاهلية - 00:29:02

فنكس الرجل رأسه واستحيا ناداه امام الناس باسم هذه المرأة التي يعير بها فانزل الله جل وعلا ولا تنابزوا بالالقاب لا تلمسوا انفسكم قال قال ابن جرير رحمه الله اللمز - 00:29:26

يكون باليد والعين واللسان والاشارة والهمز لا يكون الا باللسان. كما قال الله جل وعلا ويل لكل همزة لومجة الهمزة باللسان فقط يعني بالكلام واللمز يكون باليد كما يشير بيده هكذا مثلا - 00:29:57

يأتي باشارة مفهومة عند البعض بان هذا ناقص العقل او نحو ذلك وبالعين الاشارة بالعين واللسان والاشارة بشيء ما ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الذي هو ذكر اللقب واللمز والتعيير - 00:30:31

الفسوق هذا هو الفسوق يعني كون الانسان بعدما يمن عليه بالاسلام والايمان يتخذ صفات الفاسقين ويتكلم بالهمز واللمز والتعيير بئس الاسم الفسوق بعد الايمان بعد ما من الله على عبده بالايمان - 00:31:02

ومن لم يتب دل على ان هذا جرم ويستحق يستدعي المبادرة بالتوبة ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون. من ظلم ظلم نفسه اولا ثم ظلم اخاه المسلم ظلم نفسه وظلم اخاه المسلم - 00:31:28

التشنيع عليهم بهذا الوصف حث وترغيب للمسلمين بالابتعاد عن هذه الصفات الذميمة ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتكارهم والاستهزاء بهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال - 00:31:57

الكبر بطل الحق وغمط الناس وغمس الناس ويروى وغمط الناس والمرادبين قدر الحق يعني رده رد الحق واحتقار الناس هذا هو الكبر وهو داء ومرظ شديد عضال والمراد من ذلك - 00:32:24

احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فانه قد يكون المحتقر اعظم قدرا عند الله تعالى. واحب اليه من الساخر منه المحتقر له ولهذا قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم - 00:32:46

ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ونص على نهي الرجال وعطف نهي النساء وقوله تبارك وتعالى ولا تلمزوا انفسكم اي لا

تلمزوا الناس من الرجال مذموم ملعون. كما قال تعالى ويل لكل همزة - 00:33:09
والهمز بالفعل واللمز بالقول كما قال عز وجل ان يحتكروا الناس ويهمزهم طاغيا عليهم. ويمشي بينهم بالنميمة. وهي اللمز بالمقال ولهذا قال ها هنا ولا تلمزوا انفسكم كما قال ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا - 00:33:34
قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة ومقاتل ابن حيان رحمهم الله في قوله ولا تلمزوا انفسكم اي لا يطعن بعضكم على بعض وقوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب اي لا تداعوا بالالقاب - 00:34:02
وهي التي يسوء الشخص سماعها قال الامام احمد رحمه الله حدثنا اسماعيل قال حدثنا داوود ابن ابي هند عن الشعبي رحمه الله قال حدثني ابو جبيرة ابن قال فينا نزلت في بني سلمة ولا تنابزوا بالالقاب - 00:34:23
قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل الا وله اسمان او ثلاث وكان اذا دعا واحدا منهم باسم من تلك الاسماء قالوا يا رسول الله انه يغضب من هذا فنزلت - 00:34:44
ولا تنابزوا بالالقاب ورواه ابو داوود عن موسى ابن اسماعيل عن وهب عن داوود به وقوله جل وعلا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان. اي بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التنابز بالالقاب - 00:35:03
كما كان اهل الجاهلية يتناعتون بعد ما ما دخلتم في الاسلام وعقلتموه ومن لم يتب اي من هذا فاولئك هم الظالمون والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:35:21